نسر بجناح وحيد

القدس:١٧-٢-٢٠١١ناقشت الندوة رواية**تسر بجناح وحيد للأديبة السورية د.هيفاء البيطار** الصادرة عام ٢٠٠٨ عن منشورات مركز الناقد الثقافي في دمشق.

بدأ النقاش **نزهة أبو غوش** فقالت:

الزمان ، والمكان في الرواية (ا لزمكنية)

رأَيت أَن أَتناول الرواية بنظرة ناقدة حول زمن ومكان الرواية لما لهما من أَهمية وتأثير على أَشخاص، وَأَحداث الرواية، على اعتبار أَن الشخصيات هي ابنة المكان الذي يحمل ظروفاً وخصوصية معينة، وكذلك الزمان الذي لا يمكن أَن يتحقق في الرواية إِلا عن طريق تداخله في المكان .

إِن رواية البيطار تقع في فضاء جغرافي كبير تتحرك فيه الأَبطال، والأَحداث معا أَلا وهو فضاء الوطن – سوريا – أَمَّا الزمن الذي جرت فيه أَحدث الرواية فهو حوالي ربع قرن، تعود لذكريات تحدَّث عنها البطل وهو في الأَربعينات من

عمره،أَمَّا زمن الانتهاء من كتابة النص فهو في شتاء ١٩٩٥م، وزمن نشر الرواية عام ٢٠٠٨م.

المكان الأَول الذي تذكره الراوي هو مكان عام، قاعة الدراسة والمقاعد الدراسية الخشبية، حيث ولدت عليها أَحلامه الطفولية – ثلاثة عشر عاما–، وحلمه الكبير بَأن يصبح طبيبًا يعيش في بيت أرستقراطي، ويركب سيارة فاخرة، استخدمت الكاتبة تقنية وصف المدرسة ومعلم العلوم بحذائه البلاستيكي، فأوحت في وصفها بفقر المكان في ذلك الزمان، مما يعني أَن هناك تزاوجًا ما بين الزمان والمكان، حيث أَن الأطفال في هذا العمر يكثرون من الأَحلام.

المكان الثاني الذي كان له أهمية وتأثير في حياة البطل كريم هو: البيت ذلك المكان المغلق الذي عكس دفء الحياة والطمأنينة والشعور بالإِنتماء، وكان له فيه ذكريات مفرحة مع أُخته الأَصغر منه سنًا، سلوى في ظل والديهما، أَصبح البيت فيما بعد مكانا بل مستودعا للذكريات، والأَسرار في ظل امرأَة عجوز حنونة محبة ومشفقة، هي أُمه، كان البيت هوالمكان والزمان الذي عاش فيه البطل بامتداد عمره الزمني، أَو التاريخي، وقد تعلق به كثيرا، لدرجة أَن طلب من أخته سلوى المتزوجه خارج البلاد بأَن تتنازل له عن حصتها به خطيا.

العيادة الخاصة التي امتلكها البطل، والذي كان يسميها " عيادة التحنيط". أَمّا الزمان فقد بدا واضحًا فهو بعد تخرج البطل وعمله طبيبًا جراحًا في مستشفى الرخام. كان هذا المكان حافظ أَسراره وحكاياته: علاقته الجنسية مع فريال،

إحدى زبائنه المتمارضة، التي كانت تخون زوجها، كذلك علاقته بأمينة الفتاة، عاملة التنظيف المسكينة التي أقام معها علاقة كانت تتمناها،" بدت له العيادة أشبه بالمرأة الوحيدة المخلصة له، والتي تحبه إلى الأبد" نلاحظ هنا أن الكاتبة استخدمت هنا المكان كوسيلة لعملية الإسقاط، حيث أسقط البطل بما تكنه ذاته عن إخلاص المرأة الذي كان يتمناه فيه، وخاصة بعد ممارساته المشبوهة مع النساء.

العيادة كانت المكان الأول الشاهد على خيانة البطل الذي خان أمانته كطبيب، واتفق مع والد الطفل لإجراء عملية للطفل وسيم، في حين أنه لم يكن بحاجة إليها، وذلك من أجل حصوله على المال الذي يحتاجه، العيادة كانت السبب في جريمته غير المقصودة، لأن الطفل مات بعد التخدير، فبالتالي هي سبب تعاسته، وبؤسه، وكآبته.

لقد كانت العيادة الشاهد على فقر الطبيب المدقع، حيث كان يلهث راكضا عند سماعه بقدوم مريض لعيادته، وهو حدث نادر جدا، وغالبا ما كان أصدقاؤه في العمارة يحجزون له المريض حتى يحضر اليه هاربا من المشفى، وكان يطير من الفرح عند تناوله بعض الليرات منه، إن تقنية وصف الكاتبة للمكان: فراغ العيادة، شكلها، وأثاثها القديم، والغبار الكثيف فوق الأشياء كله تعكس مدى الفقر الذي كان يعيشه البطل. لقد استطاعت الكاتبة هيفاء البيطار من خلال المكان تصوير حياة الفرد كحياة إنسانية من خلال المجموعة التي تعيش في ظروف حياتية صعبة حتى زمننا هذا .

لقد استخدمت الكاتبة تقنية التجسيد للمكان" أُحسّ أَنّ الأمكنة بدورها تصاب بالاكتئاب، وأَشعر تمامًا بوجع العيادة، بألمها وأَنينها" ص٦٥.

مشفى الرخام: هو المكان الذي اختارته الكاتبة كمسرح لمعظم الأَحداث في الرواية، حيث استخدمت تقنية الوصف كأَداة للتعرف على المكان الذي تنعدم فيه النظافة، المملوء بكل أَنوع الجراثيم، لا يعرف فيه التعقيم، تنقصه كل الوسائل العلاجية، والأَدوات الطبية اللازمة، يعيش فيه الأطباء والممرضات حالة فراغ دائم، كل همهم هو التوقيع في دفترالحضور" كان يسمي لحظة التوقيع بيوم الحشر، حيث تنبسط دفاتر التوقيع فاتحة دفتيها تنتظر قدوم طرش الغنم" ص٣١. أَمَّا الراتب فلم يكد يكفي طعامهم اليومي.

من خلال هذا المكان جسَّدت الكاتبة البيطار كل معاني البؤس، الفقر، والحاجة لأبسط متطلبات الإِنسان في هذه الحياة، وهو العلاج، أَما الزمان فلم يكن بعيدا عن يومنا هذا، ويمكننا اعتبار المشفى كمكان تجربة معيشية، حيث أَنه مكان الكاتبة هيفاء البيطار الذي تعيشه بحكم وظيفتها كطبيبة للعيون، حيث استفادت من تجربتها من المكان ونسجت من خيالها صورا تتلاءم مع الأَحداث، كما أَن المشفى كان شاهدا آخر غير العيادة على غدر المريض، فاعتبره سببا آخر لتعاسته. أَما الزمن فقد بدا بليدًا، مرهقًا يتحرك بصعوبة" ينظر إِلى ساعته لِيطمئن إِلى هروب الزمن " ص١٣٨. لقد كان اليوم الذي يمر بعد وفاة الطفل دهرا بالنسبة لكريم.

السوق: هو الفضاء المفتوح المأهول بالباعة – باعة البالة– والمشترين مثل الطبيب كريم بطل القصة، حيث كان هذا المكان متنفسًا له من الضيق، واعتبر الشراء منه متعة، إذ كان يجد فيه القمصان ذات الماركات الأجنبية التي أراد بها تمويه أصدقائه، وكذلك الملابس لوالدته كهدية بأسعار معقولة، لقد كان سوق البالة هنا رمزًا وتعبيرًا عن الحياة الاجتماعية البائسة التي يحياها الفرد في الوطن السوري.

مقهى الرصيف: لقد استخدمت الكاتبة المقهى كمكان مغلق على فضاء خارجي واسع، حيث يدخله الناس على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والسياسية فقد استخدم كريم المقهى كمكان للتسلية ومراقبة الناس، من أجل تمضية الوقت حتى يحين موعد رجوعه للمشفى للتوقيع، المقهى هنا رمز للفراغ، وإضاعة الزمن، لقد كان الزمن في الرواية جامدا لا يتحرك، أو هكذا كانت تراه الشخصيات، لأنها لا تستفيد منه ولا تستخدمه للمصلحة الإنسانية .

بيت الطفل أسامة، وبيت أمينة: كانا رمزا للطبقة الفقيرة المعدمة التي تفتقر لأقل المقومات الإنسانية في الحياة.

أمريكا: هي مكان القوة والغنى، وجمع الثروة بطرقها المختلفة، وهي المكان الذي يستطيع الفرد أن يحيا بها كإنسان من الناحية المادية، وهي رمز لهروب الشباب وهجرتهم عن أوطانهم، من أجل جمع الثروة، واستخدمت الكاتبة أمريكا كمكان تظهر من خلاله الفروق المعيشية الشاسعة بينه وبين وطنها سوريا.

وقالت **رفيقة عثمان**:

اختارت الأديبة عنواناً لروايتها "نسر بجناح وحيد"، استقت الكاتبة عنوانها من بطل الرواية كريم، الطبيب الذي ترعرع في بيئة فقيرة لأسرة عملت جاهدة في تربيته؛ ليصبح طبيبًا. عمل الأب مدرسًا للرياضيات في إحدى المدارس، سعى لتنشئة ولديه، كريم وسلوى تنشئة سليمة، وغرس القيم الأنسانيّة النبيلة، كما ذُكر صفحة ١٩٠، "والدي نمَّى عند أولاده حب القراءة، والاهتمام بالثقافة، والقيم النبيلة..." كذلك "الوالد لم يجمع ثروة، لكنه جمع سمعة وشرفًا لا يُقدَّر بثمن."

اكتسب كريم علما صعبا لا ينجح به معظم الدارسين، وكان يعمل جاهدًا، ليكسب أموالا طائلة، ليعيش حياة كريمة، وذات رفاهية، ورغيدة، ولكن ظروف الفقر المُدقع، والظروف الاقتصاديَّة، والاجتماعيَّة الصعبة، التي أحاطته حالت دون ذلك، ولم تسعفه؛ ليحقِّق أحلامه الورديَّة، بأن يصبح غنيًّا خلال فترة زمنيَّة قصيرة.

لقد شبَّهت الكاتبة الدكتور كريم بالنسر اقتداء بقوَّته، وثقله، لدرجة بأنه لم يستطع الطيران لفقدانه لأحد جناحيه، اعتبرت الكاتبة العلم والثقافة، والضمير الحي الجناح الوحيد الذي يملكه، واعتبرت فُقدانه للمال هو الجناح المفقود، لذا لم تُخوِّله صفاته الحسنة وحدها من الارتفاع، والارتقاء للطبقة الراقية والعليا في المجتمع.

إن نظرة المفارقة، بالاستهزاء بالمتعلمين، والمثقَّفين، وعدم وجود قيمة مهمة في مجتمعهم، وعدم مساندتهم من قِبل الجهات الحكوميَّة، لرفع شأنهم؛ ليصبحوا قدوة للأجيال القادمة، بل غير المتعلِّمين الذين لم يُجهدوا فكرهم في سبيل العلم، وسعوا وراء المادَّة بطرق غير مشروعة، وصلوا بأسرع وقت ممكن، وحققوا آمالهم وأحلامهم بالحصول على الثروات والجاه .

عندما حاول الطبيب كريم أن يقلد طريقة الأغنياء، للوصول للثروة، بطريقة غير شرعية؛ ليحقق أحلامه الورديَّة بأسرع وقت ممكن، فشلت خطته، عندما حاول إجراء عملية جراحيّة غير ضرورية للطفل أسامة، ولم يَتآمر معه القدر، فخطف منه الطفل من بين يديه، ومات قبل إجراء العمليَّة بسبب التخدير .

إنَّ هذه المحاولة أبقت الطبيب سجين نفسه، وظل يجلد ذاته بذاته، يتجرَّع الآلام، والندم الذي لا حدود له، فأصبح يتناول الأقراص المنوِّمة يوميا؛ لكي ينسى، وصار يتفنن في أنواع التعذيب لذاته، والهروب من حالة اليأس والحزن المتواصلين، كذلك في تجويع معدته، وإهماله لهندامه، وازداد احتقاره لنفسه، والتدخين المستمر وبكثرة، والهروب لممارسة العلاقات الجنسيّة غير المشروعة، وفي نفس الوقت ظل ضميره حيًّا بتأنيب ضميره، لدرجة بأنه آثر أن يدفع راتبه بكامله لأسرة الطفل الفقيد، للتكفير عن خطاياه، ونواياه في تسببه بوفاة طفل بريئ. إن المُفارقة في المشاعر الإنسانيَّة التي أفقدته إنسانيَّته، وصحوة الضمير،

في آن واحد، والتي عبَّرت عنها الكاتبة، كصورة النسر الذي ظل هابطًا على الأرض، فاقِدًا القدرة على الطيران، بجناح وحيد.

نسر بجناح وحيد، عندما فضَّل كريم الطبيب القيم الانسانية عن الثراء، عندما تقدم السيد منذر الثري من خطبة اخته سلوى، وانتقد لهفة، وموافقة اخته عليه، بعد تخليها عن حبيبها في سبيل الحصول على المال، والجاه، والثراء، والسفر للعيش في أمريكا.

إن الكاتبة عبّرت عن النسر أيضًا عندما شبَّهت الطبيب كريم بالنسر، الطبيب الذي لم تغرِه المادة، وظلّ متعلِقًا بالقيم الإنسانيَّة، وهي الجناح الوحيد الذي يملكه،كما ذكرت الكاتبة صفحة ١٨٢، "نحن نهتم بالعلاقات الإنسانيَّة الحقيقيَّة، لدينا قِيَم، نهتم بالثقافة...."، كذلك ذكرت صفحة ١٩٠، "الوالد لم يجمع ثروة، لكنه جمع سمعة وشرفًا لا يُقدَّر بثمن ."

نسر بجناح وحيد، عندما رغب الطبيب في التطوُّر العلمي، والسفر للخارج للمشاركة في المؤتمرات العلميَّة، لم يستطع بسبب عدم امكانياته المادية، وظروفه الاجتماعيَّة الصعبة، كما ذكرت الكاتبة، صفحة ٦٨ "ما ذنبي إن كانت ظروفي على درجة من القحط، والسوء ولا أقدر أن أشترك بمجلّة علميّة، ولا أستطيع حضور أي مؤتمر علمي ضمن القطر، فكيف المؤتمرات في الخارج؟ ."

نسر بجناح وحيد، عندما ضاقت الدنيا في صدر الطبيب كريم، ومن مللله العمل في المستشفى الحكومي، الذي ظلَّ سجينًا بداخله، دون أن يمنحة نوعًا من

الاكتفاء النفسي، والمادي، لينتعش في حياته، ويطير لعالم آخر. كما ذكرت الكاتبة صفحة ١٢٨ "يغيب في أحلام اليقظة لا يصحو منها إلا عند الضرورة، تدور كلها حول حلم وحيد، كيف عساه يفر من هذا المشفى إلى الأبد؟ كيف سيجد وسيلة للعيش خارجه؟."

نسر بجناح وحيد، عندما هوى الطبيب كريم، ووقع في غيبوبة، كما ذكرت الكاتبة صفحة ٢٩٠، "تهاوى وهو يشعر أنه يطير في فضاء فسيح لا يحدُّه عائق أو نهاية، روحه تحلق في الفضاء، وجسده يتكوَّم على الأرض". شبَّهت الكاتبة الروح والجسد بالجناحين، وشبَّهت الطبيب كريم بالنسر، ظلَّ بجناح وحيد مستلقيًا على الأرض، وجناحه الآخر روحه حلَّقت في الفضاء الفسيح .

مكانة المرأة العربيَّة المُهمَّشة، في ظل الفقر المُدقع، في رواية: نسر بجناح وحيد:

لقد حاولت الكاتبة هيفاء البيطار، أن تخترق بعيونها الثاقبة، وبدورها كطبيبة عيون أن تفهم، وتغوص في أعماق أحاسيس النساء بالظلم، والقهر، والإهانة، وإعلاء أصواتهن على الملأ، وخاصَّة النساء العربيَّات المُنحدرات لمجتمعات فقيرة، ومُعدمة، ولإظهار آلامهن، ومكانتهن الاجتماعيَّة، في المجتمع المُجحِف في حقوقهن الأساسيَّة؛ للعيش في عزَّة وكرامة.

أرى بأن الكاتبة ترى في النساء الضعيفات، والمهمَّشات، قوَّة كامنة تحاول اختراق ظُلمات الفقر، والجوع، وإشعال شمعة صغيرة، لتنير الدرب في طريق الشرق الوعرة.

لقد تجلَّى ذلك من خلال تصوير الكاتبة لعدد من النساء اللواتي ظهرن كبطلات هامشيَات، ومهمشات، عرضت من خلال الرواية أدوارهن، ووصفت اوضاعهن الاجتماعيَّة الصعبة، وتدهور حياتهن، نتيجة الفقر الذي اجتاحهن، وأُسرهن معا. وهنا بالإمكان وصف هؤلاء النساء بذوات جناح وحيد. سأتطرق للبطلات النساء كما تعمّدت الكاتبة إظهارهن، ولكنها لم تُواصل الكتابة حول مصيرهن حتَّى نهاية الرواية، فأبقت الصورة على ما هي، دون أن تذكر أي تطوُّر طرأ على أحوالهن، رُبَّما أرادت الكاتبة بأن ترمز لاستمرارية الأوضاع الصعبة التي تعاني منها تلك النساء لغاية الآن، إن تجاهل السرد وقطع تسلسل الأحداث، لم يخدم القضيَّة، بل أضعف من قوَّة السرد، وبتر استمراريَّة الخط القصصي.

الشخصيَّات النسويَّة الأولى اللواتي أظهرتها الكاتبة هن الممرِّضات اللواتي يعملن بجهد، لإعالة أُسرهن المحتاجة، وتقع المسؤوليَّة الكبرى على عاتقهن، كما ذكرت الكاتبة، صفحة ٥٣، " البؤس الفعلي كان للممرِّضات، وكان الدكتور كريم يسميهُنَّ "النساء بلا حدود". مثل الممرضة سعاد التي كانت تعمل ليل نهار؛ لتوفِّر المال لابنها العاق، الذي كان يضربها؛ كي يحصل منها على المال، أُعجب الدكتور كريم بشخصيَّتها، وبحكمتها، وبقدرتها على التماسك، والعطاء، كما ذكر

صفحة ٧٤–٧٥، "سعاد لو كنت نحّاتًا، لصنعت لك تمثالا".كذلك الممرِّضة سهيلة التي تعمل بكد، وتعب لتعيل أسرتها، ولا يكفي أجرها لإعالة الأبناء، وأم سجيع الأرملة أيضًا في الثلاثين من عمرها، وابنتها المثقفة غير الخلوقة، التي تجني مالا من عمل غير شريف. بالإضافة إلى الشابَّة أمينة التي كانت تعمل عند المُخلِّص الجمركي؛ لتعيل أسرتها بعد مرض أبيها، ووقعت فريسة للاغتصاب من قِبل صاحب العمل، ولم تستطع الدفاع عن نفسها، فانكسرت خوفًا منه، كذلك ضعفت أمام إغراء الدكتور كريم، وظلّت تشعر بالانكسار، وتأنيب الذات، فهربت إلى الكويت، لتعمل هناك، مع إيمانها بعدم قبول الدكتور كريم الزواج منها، بسبب الفوارق الاجتماعيَّة بينهما، ظلَّت بجناح وحيد، لا حول لها ولا قوّة.

شخصيَّة سلوى، أخت الدكتور كريم: سلوى الفتاة المتعلمة، والمثقَّفة التي أبهرها بريق الذهب، وآثرت أن الزواج من السيد منذر غير المتعلم، وفضّلته على حبيبها الذي تخلَّت عنه، بسبب فقره، وركضت وراء الدولارات، والعيش في أمريكا، وفضَّلت الحياة، والسعادة الماديَّة عن الروحانيّة، وُصفت بالبخل، والأنانيَّة، تخلَّت عن الوطن، والأهل، والاخوَّة، في سبيل السعادة المادية الزائفة، والطيران بجناح وحيد .

الشابَّة التي أجهضت، وتوُفيت أثناء عمليّة الاجهاض: هذه الحالة عكست حالة الظلم الذي وقعت فيه هذه الفتاة، فريسة لعلاقة غير شرعيَّة مع شاب من بيئتها،

لم ترحمها الظروف، ولم يرحمها القدر. ذكرت الكاتبة على لسان الدكتور كريم صفحة ٢٥١، "في هذا الشرق الذي يسحق المرأة بألف طريقة وطريقة."

شخصيَّة أمّ كريم: الأمّ المعطاءة التي لا تتذمَّر، وسعت لإسعاد أبنائها، ولم تُظهِر شعورها بفقدان زوجها عندما رحل عنها إلى الأبد، وظلّت بجناح وحيد، كذلك عندما سافرت ابنتها، وتركتها وحيدة. كما ذكرتها الكاتبة صفحة ١٦٩، "تلك المرأة الرائعة تعيش معه تعطيه دروسًا في الحب، والسعادة كل لحظة". ربَّما رمزت الكاتبة لهذه الشخصيَّة بالوطن، والأرض الخصبة التي تمنح الحب، والعطاء لأبناء الوطن، دون أن تنتظر مُقابِلا منهم. هنا يظلُّ الوطن بجناح وحيد .

الفتاة المُتسوِّلة: تُعبِّر هذه الفتاة عن الواقع الذي تعيشه البلاد من جوع، وفقر مُدقِع، وتسوُّل؟ ممّا يدعو الأمر للإهانة، والذل، لا طموح يُشغلها غير لقمة العيش، فيظلُّ الوطن حبيس الفقر، والجهل، والمنافسة غير الشريفة، للوصول للمادَّة بأسرع وقت ممكن، ضارِبًا القِيم، والأخلاق الحميدة عرض الحائط، ويظلُّ هابِطًا بجناحه الوحيد منكسِرًا، فالفتاة رمز للعصر الحديث، الذي يُلِحُّ علينا مُطالِبًا بالتقدُّم نحو العلم، والفضيلة معًا بجناحين اثنين، للوصول لأعلى المراتب، ومواكبة الغصر الحديث مع كل التحدِّيات العصرية، وتطوُّرها.

الأسلوب:نهجت الكاتبة أسلوب الرواية الواقعيَّة، الذي يعتمد بالرجوع إلى الوراء، بقراءة المذكَّرات، لقد استطردت الكاتبة في سرد الرواية، وأطالت في سرد الأحداث بشكل متكرِّر، وأحيانًا لا لزوم له .

تفتقد الرواية لعنصر التشويق، والحبكة التي هي عنصر أساسي من عناصر الرواية الناجحة.

أسلوب الكاتبة جريء جدًّا في التعبير، وخاصَّة التعبير عن العلاقات بين الجنسين.

اللغة بسيطة، وسلسة جدًّا، تتخلَّلها بعض التشبيهات الجميلة مثل: صفحة ١٥٣، "حتى الجدران تمطَّت، والكواسر الضخمة المهترئة أخذت تضحك كاشفة عن أضراسها بتلبيسات مُثقبة ومهترئة".كذلك "سيطل البراد الذي هدته الشيخوخة فصار يُصدر قرقعةً عاليةً مستمرة، كأنه يعوي طالبًا الرحمة، ومعه حق في التقاعد... وحقه الطبيعي في الموت."

الرموز: لقد عمدت الكاتبة بإظهار بعض الرموز التي تُبرز الانتماء للديانة المسيحيَّة، مثلا كما ذكرت عن الهدايا التي أهداها كريم لاخته سلوى، كالصليب.. كذلك عند استخدامها لبعض الأدعية المُستقاة من الإنجيل، رُبَّما أرادت الكاتبة أن تُشير إلى المعاناة التي يتقاسمها المسيحيون مع إخوتهم المسلمين داخل نفس الوطن في أرجاء العالم العربي.

وقال **محمد موسى سويلم**:

صحوة الضمير بعد حادثة وفاة طفل صغير فقير معدم، تُرى هل كان سيصحو هذا الضمير لو أن الوفاة حصلت لطفل ثري او لعائلة متنفذة؟

... او لو ان هذا الطفل شفي من العملية الجراحية ولم يمت ؟ فهل سيستمر الطبيب في الكسب بهذ الطريقة غير المشروعة.

طبيب يعمل في مشفى عام وله عيادة خاصة، يذهب الى المشفى صباحا ليخربش توقيعه ويتجه الى عيادته الخاصة في نفس الموعد من الدوام، ويعود بعد الظهر ليخربش توقيعة على المغادرة ؟ العيادة التي لم تعد لتقديم الخدمة الطبية فحسب بل لممارسة الجنس المحرم مع .....الخ.

رواية تعري الشقاء والبؤس والفقر والحاجة، رواية تفضح كل أساليب الترعل الوظيفي والاداري وقلة الوازع الديني، وفقدان الحس الانساني والجشع والاستغلال .

حالات من واقع معاش يمثل الاهمال والبطالة المقنعة واللامبالاة في ايجاد مبررات لهذا السخف الوظيفي المعيب، زواج فريال من زوج يكبرها بعشرين عاما لانه غني، واشباع جسدها من غيرة وزواج سلوى من رجل ثري من الحالات موجودة في المجتمعات، وهى نوع من الهروب من الواقع واللهاث وراء المتعة المادية وهروب من المعاناة ..... والحرمان .... وهروب غير مبرر من الفقر وتوابعه.

الرواية نقد للواقع المرير المعاش، ودراسة لظواهر تسود المجتمع الذي يوجد فيه طبقتان اجتماعيتان، فقط الطبقة الثرية المتنفذة والطبقة الفقيرة المسحوقة المعدمة ولا يوجد طبقة وسطى الى متى يا ترى ؟

وبعد ذلك جرى نقاش شارك فيه عدد من الحضور منهم: **ابراهيم جوهر، جميل السلحوت، راتب حمد، موسى أبو دويح، حذام العربي وسمير الجندي ..**

obeikandl.com

وراء الفردوس

القدس:١٤ نيسان ٢٠١١ ناقشت الندوة هذا المساء رواية**(وراء الفردوس) للأديبة المصرية منصورة عز الدين.**

بدأ النقاش **رفيقة عثمان** فقالت:

الشخصيَّات المعتوهة، والمجنونة، والمضطربة نفسيًّا في القصص

اخترت أن أسلِّط الضوء على شخصيَّة المعتوهة، أو الهبلة في رواية وراء الفردوس.

برع الأدباء والكتاب، والشعراء الغربيون، ومن ثمَّ العرب، في اختيار شخصيَّة بهلوانيَّة، أو شخصيَّة تتَّصف بالجنون، أو الأمراض النفسيَّة، وهنالك أمثلة عديدة لروايات، وقصص، وشعر، لعدد كبير من الكتَّاب، والروائيين، والشعراء المُبدِعين.

أمثال: دوستيويفسكي في رواية الأبله، التي تناول فيها شخصيَّة الأبله – الأمير مشكين– حيث أراد من خلالها أن يدخل إلى أعماق المجتمع الروسي بكل

تفاصيله، وخفاياه، وكذلك رواية الجريمة، والعقاب، والكاتب موباسان في قصَّة "الهورلا"، حيث عبَّر الكاتب عن حالة الريبة، والهذيان التي يعيشها المريض العقلي، وفي قصَّة قصيرة أخرى "الشعَر" سارد القصَّة، المجنون والطبيب نجح الكاتب موبسان بالتعبير عن حالات الجنون بشفافية بلا تدخُّل في التحليل النفسي.

نجد في الأدب العربي، قصصًا، وروايات متعدِّدة، مثل: رواية "عرس الزين"، للكاتب الطيِّب الصالح، وكذلك للأديب نجيب محفوظ، في "حديث المساء والصباح"، حيث عبَّر فيها عن الانفعالات والمواقف اللا واعية، والاضطرابات النفسيَّة، من خلال شخصيَّة قاسم أحد أبطاله، وفي شخصيَّة الشحاذ، المجنون، وغيرهما من الأدباء المُبدعين.

استخدام الشخصيات غير السوية يعكس أحياناً حياة الأدباء الخاصَّة، المضطربة، والاجتماعيَّة السيِّئة، جنس الأدب، واختيار شخوص القصَّة أو الروايَة، للتعبير الحر عن الحالة النفسيَّة للراوي، أو التعبير عن أوضاع المجتمع السّيئة في حقبة زمنيَّة معيَّنة، فيعكس الكاتب هذه الأوضاع، بواسطة تحريك شخصيَّة الأبله، أو المضطرب نفسيًّا، كما تجلَّى لنا من خلال رواية "مارغوريت دورا"، التي بُليت بوفاة ابنها بعد ولادتها، مما أثَّر على نفسيَّتها، وكتبت رواية "السفهاء" وكان أدبها منتميًا للحياة التقليديَّة، عام ١٩٤٣، وروايتها "حياة ماديَّة" (١٩٨٧)، حيث تطرَّقت إلى حالة الإدمان على الكحول، أحبت هذه الكاتبة، شخصيَّاتها الفاشلة،

والتعيسة، كما عبَّرت عن ذلك " لا أحب سوى الشخصيَّات الهشَّ، هم وحدهم أحياء في الحقيقة". (أبو زيد منيرة، أدب الأمراض النفسيَّة، والعقليَّة).

اختارت الروائية منصورة، إحدى بطلات قصَّتها الفتاة المجنونة، وأسمتها بدر الهبلة، التي احتلت أكثر من ثلاث صفحات من الرواية، وأنهت سطور الرواية الأخيرة حولها ص٧٠، "لم يبقَ منها غير ملابسها القديمة في دولاب أمها، وورقة منسوخة تحمل "فوتوكوبي" الاسم: بدر ابراهيم السيد. السن: ٣٩ عاما، الحالة: متخلفة عقليًّا."

كانت بدر الهبلة شخصيَّة محوريَّة، عبَّرت الراوية من خلالها، عن القيود الاجتماعيَّة الصعبة التي أحاطتها في المجتمع الريفي التقليدي، الذي ينبذ كل ما هو غير مألوف عن التقاليد، والعادات الاجتماعيَّة المُتوارثَة، وخاصَّة المرأة الريفيَّة، التي تبحث عن ذاتها، وتسعى بحثًا عن الحريّة المفقودة، وكسر معايير التقاليد الاجتماعيَّة التي تفرضها السلطة الأبويَّة، الرجعيَّة، كما تجلَّى ذلك في الرواية. "كانت بدر الهبلة قد هربت من الرقابة اللصيقة لوالدها، ونزلت للاستحمام في النيل". صفحة ٦٦، "أدركوا أن من أثارت خوفهم هي بدر الهبلة، وليست إحدى الجنيَّات التي يتخيلونهن دومًا" صفحة ٦٧.

لقد حذت الراوية منصورة حذو الكاتبة الأمريكيَّة "سيلفيا بلاث" في رواية "الناقوس الزجاجي"، حيث اختارت بطلتها إستر التي وجدت رغبة في نفسها التمرُّد ضد الدور النسوي، والنظر لجسد المرأة بأنه مهان، فتواجدت استر نفسها

محاطة دائما بناقوس زجاجي، يفصلها عمن حولها، ويسبب لها الضعف، والمعاناة، وصوَّرت الكاتبة الصراع الذي عايشته النساء في المجتمع الأمريكي في سنوات الخمسينات والستينات، وسعيهن لتحرير أنفسهن من قيود النطريَّات الذكوريَّة. (سراقبي رويدة: تحليل لروايات سلفيا بلاث "الناقوس الزجاجي").

كان صراع البطلة بدر الهبلة في رواية وراء الفردوس، مع أبيها الذي يُصوِّر السلطة الأبويَّة، والذكوريّة في المجتمع، الذي كان يربط ابنته بدر بالسلاسل الحديديّة، كي لا تفلت من محيطها، وأراد لها القيود الجسميَّة، والنفسيَّة، كما ورد صفحة ٦٨، "كانت لا تطيق البقاء في البيت لأن والدها يحبسها في حجرتها، وقد ربط ساقها بجنزيرإلى السريرالضخم كي يمنعها من الخروج إلى الشارع خوفًا عليها ممن قد يستغلون جنونها."

بينما كان صراع إستر ضد أمها التي تُمثِّل المبادئ القديمة، وبروز التأثير الذكوري في الرواية. (المصدر السابق)، أرى بأن هنالك تشابها كبيرا بين الروايتين، وتأثُّر روائيتنا منصورة عز الدين بهذا النوع من الأدب، وتناول شخصيَّة البطلة البلهاء، لتعبر من خلالها عن الصراعات النفسيّة التي تواجه النساء في ظل مجتمع تقليدي في سنوات الثمانينات، والتسعينات.

رُبَّما أرادت الروائيةية أن تشير إلى نتيجة القيود القاسية التي عانت منها النساء الريفيَّات، وعدم التقبُّل لهذه الشخصيَّ، أدت إلى الهروب من الواقع الاجتماعي المرير، وضياع الهويَّة، تحرَّرت من العبودّيَة، بحثًا عن الذات والهويَّة الذاتيَّة،

كما عبَّرت عنه الروائية في روايتها ص٦٩، "بعد أقل من شهرين على إعلان الزواج، اختفت بدر الهبلة تمامًا... فكَّت الجنزير كالعادة، وهربت."

يبدو التأثر الشديد للراوية، وتضامنها مع شخصية بدر "الهبلة"، التي أبدعت الروائية في استخدامها بطريقة مُقنعة للقارئ، في تصوير صورة اجتماعيَّة واقعيَّة مؤلمة للريف المصري التقليدي، ونظرة المجتمع للمرأة، والقيود المفروضة عليها، كما تجلَّى ذلك في نهاية الرواية صفحة ص ٢٢٢، الطبيبة تسأل سلمى:"بالمناسبة مين بدر الهبلة؟ اللي كنت بتتكلمي عنها قبل ما تفوقي، ليه ما حكتيلي عنها قبل كده؟ "لم ترد سلمى عليها، كانت فقط تنصت لصوت ارتطام جنزير قديم يكبل ساق بدر بدرجات سلم بيت العائلة وهي تصعده زاحفة."

هكذا أنهت الروائيَّة روايتها، على لسان الساردة سلمى، بأنها ظلت صامتة عندما سألتها الطبيبة عن بدر "الهبلة" التي كانت تهجس باسمها، يبدو أن سكوتها، وتذكرها للسلاسل الحديديَّة المربوطة في رجليها، وسماع أصداء صوت سلاسل الجنزير، ما زالت تقرع في رأسها، مما يدل على بقاء، وتأثير تجربة القيود الاجتماعيَّة، والنفسيَّة الشديدة، لها وقع شديد في نفس الراوية، لدرجة يصعب التعبير عنها، والبوح بها أمام الآخرين، وهروبًا من الواقع الصعب.

استخدمت الروائيَّة شخصيَّة سلمى الساردة، والمضطربة، في التعبير عما يختلج نفسها بواسطة الكتابة، ص ٨٠-٨١، " كثيرا ما أشعر اني غير طبيعيَّة، مجنونة

بشكل أو بآخر لكنه ذلك النوع من الجنون الذي يصعب المساك به، أو ملاحظته من جانب المحيطين" ، أنا وحدي أشعر بهذا الجنون الأليف الذي ينمو بهدوء ودأب بداخلي، يبدو كسرطان كامن يأكلني من الداخل."

خلاصة الحديث: ليس هنالك أدنى شك، بأن هنالك دور هام لاستخدام الشخصيَّات غير السويَّة في الرواية، أو القصَّة، ويُعتبر هذا النهج، نهجًا حديثًا في الأدب العربي المعاصر، وأسلوبًا من أساليب الإبداع للراوي، الذي ينجح في تحريك الشخصيَّة وِفق المواقف، والمضمون، بحيث يستطيع إبراز مكنونات، وخفايا النفس البشريَّة، وآفات المجتمع من خلال هذه الشخصيَّة.

وقال **جميل السلحوت**:

لا أعرف لماذا ألحّت على ذاكرتي فكرة أنّ الأديبة المصرية منصورة عزّ الدّين هي نفسها سلمى رشيد بطلة روايتها"وراء الفردوس"مع أنني لا أعرف الروائية، ولا أعرف شيئا عن حياتها الشخصية، سوى أنها روائية وقاصة وتعمل محررة في مجلة"أخبار الأدب"المصرية، فمن المعروف أن الأديب يكتب شيئا من سيرته في إبداعاته، ومعروف أيضا أن الأديب هو ابن بيئته، وبالتأكيد فإن الروائية منصورة عز الدين لم تكتب سيرة ذاتية، لكنها كتبت واقعا اجتماعيا عايشته أو عرفته، أو سمعت به في إحدى قرى الريف المصري، وهو ليس بعيدا عن واقع الريف العربي في بلدان عربية أخرى، وقد جاء السرد الروائي يحمل في ثناياه قضايا متشابكة ومتنافرة ومتلاحمة، لكنها مرتبطة بخيط خفي لترسم لنا واقعنا

المتناقض بمرارته وحلاوته، فهناك قصص تدمير الأراضي الزراعية لصالح معامل الطوب والتوسع العمراني، وما يصاحب ذلك من ثراء فردي وفقر جمعي وتخريب اقتصادي، والأحلام وتفاسيرها، والجذور العائلية والعادات والتقاليد، وقصص الحياة والموت والطلاق والإنتحار والإشاعة، وحتى الصراع داخل الأسرة نفسها، وبين الأمّ وابنتها، وبين الأشقاء، وحياة الفلاحين المزارعين، وبؤس الأطفال وشقاوتهم وحرمانهم، والعقم والإنجاب، وتعدد الديانات والتعايش والتنافر بين أتباعها، والأفاعي والحشرات، والمتقلبون المتغيرون كالحرباء، وهجرة أبناء الريف الى المدينة أو انتقالهم للعمل فيها، وانعكاس ذلك على ثقافتهم، وانسحاب تأثيراته على قراهم، والحبّ والزواج والعلاقات الجنسية خارج الزواج وكيفية نظرة المجتمع إليها.

وتنبع أهمية رواية"وراء الفردوس" من كونها تتحدث عن الواقع الاجتماعي المحلي، فالأديبة التقطت أحداثا ووقائع محلية ورسمتها بصورة فنية لتعري المجتمع أمام ذاته، ولتقول للشعب هذا هو واقعك، وهي بهذا تطرح فلسفة الحياة لتجبر المتلقي على التفكير والتفكر وليخرج بالنتائج التي يتوصل إليها بنفسه.

اننا أمام رواية عميقة سهلة وصعبة، متعبة ومريحة في نفس الوقت ومن هنا تنبع أهميتها أيضا.

وقالت **نزهة أبو غوش**:

الهواجس والأحلام في رواية " وراء الفردوس "

ارتكزت الروائية منصورة عز الدين في روايتها على الكثير من الهواجس والأَحلام، والمعتقدات والخرافات التي ساهمت في تحريك وتطوير أحداث الرواية حتى نهايتها، على الأَغلب سيطرت هذه الأَحلام على الحياة الواقعية لبطلة الرواية سلمى التي ربما كانت تعبر عن واقعها المشوه الذي تحياه، كانت البطلة سلمى منقادة وراء أَحلامها، تركت القاهرة وعادت إِلى بلدتها في الأَرياف متأَثرة بصورة والدها التي كانت تراودها كثيرًا في نومها، حرقت كل ما تركه والدها في الصندوق متخلصة بذلك من موروثاتها القديمة، تأَثرت سلمى بحلمها الذي رأَت فيه بأَنها تقتل صديقتها جميلة ثم تدفنها بيديها، فظلت تحمل في داخلها شعورًا بالذنب والخوف والأَسى ومحاسبة الضمير نتيجة لهذا الحلم، كما أَنها كانت تحاسب زوجها الذي هجرهاعلى أَنه قد خانها نتيجة لحلم قد رأَته في منامها .

أَوردت الراوية عز الدين بعض الحواشي التي تشرح بها عن الأَحلام أَو بعض الحكايات الشعبية، كما أَنها أَلجأَت بطلتها لكتب فرويد، وابن سيرين فلم تتوصل لأَي تفسير لأَحلامها، ثم أَوصلتها للطبيبة النفسية التي نصحتها بتدوين أَحلامها. معظم الأَحلام كانت تدور حول شخصية صديقتها جميلة وشخصية والدها حتى أَنها اعتقدت بأَنه ما يزال حيًا، سيطرت على سلمى فكرة أَو معتقد بأَن صديقتها جميلة قد سرقت قدرها، لأَن جميلة كان اسمها قبل أَن يغيره والدها بعد اسبوع فقط، الأوهام والهواجس والأَحلام كانت أَكثر صلابة من واقع سلمى المعيشي، رغم كونها امرأَة متعلمة.

لم تكتفِ الكاتبة منصورة بإلصاق الأَحلام بالبطلة سلمى ، بل تعدتها لباقي شخصيات الرواية، مثل العمة نظلة التي كانت تقضي أَوقاتها في تفسير الأَحلام للذين يلجأون اليها من سكان الريف المصري .

لجأَت الراوية لإِدخال عنصر الخرافة في الرواية من خلال شخصية المرحوم صابر الذي كثيرًا ما كان يظهر شبحه للكثيرين من الناس في البلدة وخاصة لابنته جميلة حين كانت تزور البيت المهجور، كذلك شبح أُخت سلمى التي ماتت منتحرة، حتى أَن نساء البلدة حلفن اليمين بأَنهن رأَين شعرها الطويل يسير ببطن منتفخ في الخلاء.

للمعتقدات في الرواية دور كبير وتأْثير على شخصياتها. مثل رمي البصل في النيل، من أَجل ابعاد الشياطين.كذلك عدم تقبل النصرانيين في البلدة لاعتقاد الناس بأَنهم يكفرون بالله ويجلبون النحس" هي ضاقت في وشك ما لقيتش غير النصراني ده تشغله عندك؟...ربنا مش هيباركلك في المصنع طول ما النصراني ده فيه" ص٧٦.

الهواجس والأَحلام في رواية منصورة عز الدين، لماذا؟ هل أَرادت الكاتبة أَن تعبر عن حالة البؤس، والفشل عند المجتمع المصري، فلجأَت إِلى التمسك بالجهالة والضلالة والخرافة والأَحلام، لتصبح روايتها صورة للحالة النفسية الذي يعيشها الشعب المصري خاصة، والشعوب العربية عامة؟ أَم أَرادت الكاتبة أَن تبحث عن فردوس مفقود تراه بعد غمضة عين؟ " صارت تغمض عينيها كثيرًا،

تغمضهما فتغرق في فردوسها الملون بألوان قوس قزح...مع استمرار الإِغماض تتداخل الالوان ببعضها البعض...تصبح الجنة بالنسبة لها هي بستان خوخ وقت ازهاره..." ص٢١٨.

وقال **موسى أبو دويح**:

هكذا الرّوايات لولا ما فيها من غريب الكلمات: عامّيّة وعلميّة

صدرت رواية (وراء الفردوس) لمنصورة عزّ الدّين في طبعتها الثّانية عن دار العين للنّشر في القاهرة سنة ٢٠٠٩م في ٢٢٢صفحة من القطع المتوسط.

أهدت الكاتبة روايتها إلى روح أمّها وإلى ياسر ونادين. وقسّمتها إلى (١٢) رقما متسلسلا. ومكان الرّواية صعيد مصر وزمانها أواخر القرن العشرين، وشخوصها كثيرون متعدّدون.

وصفت الرّواية حياة المصريّين في الرّيف وصفًا دقيقًا وصادقًا وواضحًا، فوصفت بيوتهم وفراشهم، وطعامهم وشرابهم ولباسهم، ومعتقداتِهم وأساطيرَهم وحكاياتِهم، وعلاقاتِهم وجميعَ أحوالِهم. وصفت الإنسان والحيوان والنبات والجماد، وصفًا يحسّ كلّ من يقرؤه أنّه ماثل بين يديه، وقائم أمام ناظريه، أو كأنّه مسلسل تلفزيونيّ ينظر إليه بأمّ عينيه.

تقول الكاتبة عن موت صابر الّذي شبك جلبابه في سير الخلّاط، الّذي سحبه في ثانية وأدخل جسده في مفرمته. وأرجع الفلّاحون سبب ذلك إلى أنّ أصحاب

المصنع لم يقدّموا له دماء بشريّة، قرباناً من أجل استمرار مصانعهم. وهذا يذكّر بقصة عروس النّيل عند المصريين القدماء؛ حيث كانوا يقدّمون أجمل الفتيات للنّيل حتّى يجري إليهم بغزارة. جاء في البداية والنّهاية لابن كثير: (لمّا فتح عمرو بن العاص –رضي الله عنه– أرض مصر وجد المصريّين يقومون بإلقاء فتاة عذراء كلّ عام في النّيل فمنعهم تلك السّنة من رمي الفتاة. فأرسل عمرُو بن العاص إلى عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رسالة يستفسر فيها عمّا يفعل، فردّ أمير المؤمنين برسالة وأمر عَمْرًا أن يرميها في النّيل. فتح عمرٌو الرّسالة فوجد فيها (من عبد الله عمرَ أمير إلى نيل مصر، أمّا بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجرِ، وإن كان الله هو الّذي يجريك فنسأل الله أن يجريك). وفاض النّيل تلك السنة.

وذكرت الكاتبة قصّة الشّيخ الأعمى الّذي كان حريصًا على أن يهدي (رزق) النصرانيّ إلى الإسلام حتّى يفوز بالأجر الكبير والثّواب الجزيل. وتذكر البعوض الذي يمصّ الدّماء وينقل الأمراض، والّذي يسمّيه المصريّون بالنّاموس، أو النّاموس الشّرس.

وتبيّن كيف ينظر أهل الصّعيد للمرأة فتقول في صفحة ١٥١:(لدرجة أنّ رشيد حين رغب في الزّواج من ابنتها ثريّا، رفضت أمّه بشدّة في البداية بسبب أن "بيتهم ممشياه مره" أي (تسيّره امرأة) (وشورة الحريم تجيب الفقر!).

أمّا ما جاء في الرّواية من غريب الألفاظ فمثل: الشّكمان، الإفريز، الشّبّورة، الطّفّاشة، الكوليه البراق، السّاكركير، كرزايا، أنا في حالة dejavuدائمة، شجرة البونسياتا، الشّكائر، وكثير غيرها.

أمّا ما جاء في الكتاب من أخطاء فمثل :

صفحة ١٣:(الّتي كانتها واعتادت أن تكونها) والصّحيح: كانت إيّاها واعتادت أن تكون إيّاها.

صفحة ٢٤:(حتّى تُشفي) وفي صفحة ٢٥:(بعدما شُفيت نظلة) والصّحيح: حتّى تشفى وبعدما شفيت.

وفي صفحة ٢٥ أيضًا:(سامحها وعفي عنها) والصّحيح وعفا عنها.

وفي صفحة ٣٦:(وأنّهما لم تَعُدا نفس الشخصيّتين) والصّحيح لم تعودا الشّخصيّتين نفسَيْهِما.

وفي صفحة ٤٢:(ويملؤون المقاطف بالكواريك) والصّحيح بالكريكات.

وفي صفحة ٤٨:(من دون أن يجرؤا) والصّحيح يجرءا أو يجرآ.

وفي صفحة ٥١:(كي لا تتوه منها في الزّحام) والصّحيح تتيه.

وفي صفحة ٧٤:(به أكثر من ميكي ماوس أصغر في الحجم يكوّنون دائرة) والأحسن تكوّن دائرة.

وفي صفحة ١٠٦ و١٠٨:(من السّبعينيّات)، (من طفلة الثمانينيّات) والصّحيح من السّبعينات والثّمانينات.

وفي صفحة ١٠٨:(ويؤجرّها منهم أصحاب المصانع) والصّحيح ويستأجرها.

وفي صفحة ١٣٩:(وما صلبوه وما شنقوه ولكن شبّه لهم) والصّحيح وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبّه لهم (النساء الاية ١٥٧).

وفي صفحة ١٤٦:(شبكت النّيران)، وفي صفحة ١٥٧أيضًا والصّحيح وشبّت النّيران.

وفي صفحة ١٦٠:(بسذاجة سنوات عمرها السّبعة عشر) والصّحيح السّبع عشرة سنة.

ومع كلّ هذا فالرّواية رواية بحقّ، وتستحقّ القراءة؛ لأنّها تعطي صورة واضحة عن ريف مصر.

وبعدها جرى نقاش مطول شارك فيه كل **من ابراهيم جوهر، سمير الجندي وهاني غوشة**.

اكتشاف الشهوة

القدس:١٧كانون اول– ديسمبر– ٢٠١٠ ناقشت الندوة رواية "**اكتساف الشهوة**" **للكاتبة الجزائرية فضيلة الفاروق** الصادرة عام ٢٠٠٦عن دار رياض الريس في بيروت ولندن.

بدأ الحديث **جميل السلحوت** فقال :

في روايتها"اكتشاف الشهوة"* تخرق الروائية الجزائرية فضيلة الفاروق كل"التابووات"–المحرمات– ظنا منها أنّها تدافع عن حقوق المرأة، مع أن إعطاء المرأة حقوقها واجب على كل شخص ذكرا كان أم أنثى، ووضع المرأة العربية والمسلمة غير مرض وغير مقبول في كافة الدول العربية والإسلامية، نتيجة للعقلية والتربية الذكورية والعادات القبلية والعشائرية.

والثقافة الجنسية العلمية والدينية الصحيحة، ما عادت من المحرمات، مثلما لم تكن هي كذلك في السابق، واللافت أن من كتب فيها سابقا هم في غالبيتهم رجال دين لتبيان الأحكام الشرعية في هذه القضية، لكن فضيلة الفاروق تعدت حدود الدين وحدود الثقافة في روايتها هذه، فقدمت لنا صورا جنسية فاضحة، مع أنها

نفت في مقابلات صحفية منشورة معها أنها كاتبة جنس، واعترفت بأن عائلتها كادت تتبرأ منها لروايتها هذه، وأنها أعلنت توبتها عن الكتابة عن مسقط رأسها ومدينتها "قسنطينة" الجزائرية، ويبدو أنّها وجدت ضالتها في بيروت التي أقامت فيها بعد زواجها من لبناني. وروايتها اكتشاف الشهوة" يبدو أنها جاءت استجابة للدعوات الغربية التي تدعو الى عولمة الثقافة، وهذا فيه دعوة صريحة لفرض ثقافة الأقوى على الضعيف، أيّ فرض الثقافة الأمريكية والأوروبية على الشعوب الأخرى، مما يعني طمس ثقافة هذه الشعوب، ويبدو أن بعض الكاتبات والكتاب العرب، لم يأخذوا من العولمة سوى الانفتاح الجنسي إن لم نقل الإباحيّة الجنسيّة، أمّا العلوم والاختراعات بشتى أصنافها وأشكالها فليست واردة في حسابات البعض.

وتتجلى الإباحية في رواية "اكتشاف الشهوة" في أكثر من موقع، فالزواج عهر كما جاء على لسان بطلة الرواية ليلة زفافها:" بين ليلة وضحاها أصبح مطلوبا منّي أن أكون عاهرة في الفراش، أن أمارس كما يمارس هو، أن أسمعه كل القذارات، أن أمنحه مؤخرتي ليخترقها بعضوه،....ولهذا تطلقت لاحقا"، وبما أنّ الزواج عهر، فإنّ "الفضيلة" في الممارسة الجنسية مع أكثر من شخص خارج الحياة الزوجية، والعهر ليس حكرا على المرأة، بل يشاركها الرجل أيضا هذه الصفة، فالأزواج لا يجدون سعادتهم مع الجنس الآخر إلّا من خلال العاهرات والخمور والمخدرات، ومصيبة المصائب على الجنسين تقع من خلال عقد الزواج، فالمرأة الزوجة التي يعاشرها زوجها دون الإنتباه لمتطلباتها الجسدية

والغريزية تروي البطلة على لسانه عندما احتجت على ذلك:" قال إنّه يمارس الجنس حسب شرع الله، وهذا المطلوب منه لا أكثر"ص٩٢ وتقول" في مجتمعنا من العيب أنّ تسأل امرأة متزوجة هل تحب زوجها أم لا؟.....الاعتراف بالحبّ شبهة، والشبهة تعني ضلالة، والضلالة-والعياذ بالله- تقود الى النار.ما أخطر الاعتراف بالحبّ! إنّه كالزنا، كاحدى الكبائر،أو كالقتل"ص٩٩ ولا أعلم بناء على أيّ شيء اعتمدت الكاتبة في فتاويها هذه، التي فيها تشويه للحقائق وكذب وافتراء على الدين وعلى العادات، فلا الدين ولا العادات يمنعان المحبة بين الزوجين، بل أنهما يحضان على ذلك.

والكاتبة التي لم يرد في روايتها أيّ علاقة سوية بين زوجين، كانت علاقات الحبّ والجمال بين الزوجات ورجال متزوجين في باريس، بينما طمس شخصية المرأة واضطهادها وتزويجها، واغتصابها من قبل زوجها من نصيب مدينتها قسنطينة. فالنعيم في باريس والجحيم في الجزائر، ونعيم باريس يتأتى بالخيانة الزوجية، فالجزائر بلد الحريم، وباريس بلد الحرية والانطلاق.

والرجل الذي يمارس الجنس مع غير زوجته عاهر وخائن، والمرأة التي تخون زوجها متحررة وباحثة عن السعادة.

غير أنّ الكاتبة التي رأت بطلة روايتها سعادتها في تعدد العشاق- باستثناء الزوج طبعا في باريس، لم تتحدث عن الآفات الجنسية الناتجة عن الإنفلات الجنسي في

باريس وغيرها، والتي لا تقتصر على الإيدز بل تتعدّاه الى أمراض أخرى، تقضي على حياة البشر، وتورثها لأطفال أبرياء لا ذنب لهم.

وقالت **نزهة ابو غوش، ورفيقة عثمان**

اكتشاف الشهوة لفضيلة الفاروق، والأَدب الهابط

عنوان الرواية: لقد بدا واضحًا أَنّ عنوان الرواية هو ماركة عالمية كمن يضعها أَصحاب الشركات على بضاعتهم، من أَجل ترويجها وكسب أَكبر ربح ممكن. فقد اختارت الروائية فضيلة الفاروق أَسهل وأَقرب طريق من خلال وضعها كلمة "الشهوة" على الغلاف، وذلك –للأَسف الشديد – تمشيًا مع السوق الذي يتطلب مثل هذا الإنتاج من الأَدب الهابط.

الأُسلوب: بدا أسلوب الراوية واضحًا ومباشرًا غير منضبط بالدين، ولا المجتمع، ولا الثقافة العربية، ولا الأَخلاقية. يبدو أَن الراوية سقطت فريسة لبعض الفلسفات الغربية، التي تدعو إِلى الإِباحية، والحرية المريضة في التعبير، وأن الكاتبة تكتب من أَجل الغرب، حيث أَنها سعت إِلى تقليد بعض الأَدب الغربي تقليدًا أَعمى، ربما اعتبرت الراوية أَن أسلوبها هذا هو تطبيقُ لمبدأ "حرية الأَديب"، وهل حرية الأَدب تتطلب بأَن نعري أَجسادنا، وأَنفسنا فوق صفحات الكتب؟ هل تتطلب منا الحرية بأَن نخلق لأَدبنا العربي ذوقًا سقيمًا يبعد كل البعد عن الذوق

السليم آلاف الأَميال؟ هل يتطلب منا الأَدب بأَن ننحرف به لغويًا وفكريًا؟ وهل يتطلب منا الأَدب بأَن نمرِّغ كتاباتنا بوحل الغريزة والإباحية المفرطة؟ أَعود وأَتساءل، ربما تفننت الراوية في كتاباتها تحت ظل " الحرية والحداثة"؟ وهل تتطلب منا الحداثة بأَن نبتعد عن الرشاد،ونقترب إِلى الغلو والشذوذ؟ وهل تتطلب الحداثة بأَن نهدم تراثنا العربي الأَصيل، بالخروج عن معاييره، وقيمه؟ هل لغة الكاتبة، وذوقها الأَدبي في رواية " اكتشاف الشهوة" هي أَفكار مستحدثة؟

الفكرة: لم تكن فكرة الراوية واضحة، هل هي وقوع الظلم على المرأَة العربية، أَم هي اختيار الخيانة الزوجية، من أَجل حياة جنسية أَفضل؟ أَم نبذ فكرة الزواج؟ أَم شيء آَخر؟ فهي بأَي حال من الأَحوال كلها أَفكار بالية، وموبوءة.

نأسف ونحزن على هذا النوع من الأَدب الهابط الذي يلاقي من يقفون وراءَه، ويكثرون من المدح والنفخ الزائدين؛ ونعتب على الذين يروِّجون لمثل ذلك الأَدب في معارضهم " معارض الكتب."

اللغة:لغة الكاتبة سلسة وقوية، فيها قدرة واضحة على التعبير، والوصف، والصور البلاغية التي تصور الأَحداث بلغة ترتبط بالغريزة الجنسية بشكل فاضح.

اللغة كنز ثمين وهبة الله للإنسان، لتكون له وسيلة يعبر فيها عن احتياجاته ومشاعره ومكنوناته النفسية، فكيف لو كان هذا الإنسان أديبا؟ يفترض بالأَديب أَن يعبر عن عواطف ومشاعر الآخرين، ليجسد آمالهم وتطلعاتهم بأسلوب راقٍ

ومؤثر، فالأدب مسؤولية وأمانة وفن وتفاعل مع قضايا المجتمع، يوصلها الأديب للقارئ مع ما يحمله من مواقف، و فلسفته، ورؤيا خاصة به وحده خالقًا الإبداع الذي ندعوه أدبًا. حبذا لو استخدمت الكاتبة أو الروائية، الفاروق طاقتها الأدبية وقدرتها الإبداعية في كتابة الأدب الملتزم، لتثبت للقارئ مدى وعيها، ومسؤوليتها وإدراكها ويقظتها ، ولو فعلت ذلك لاستطاعت بأن تحلق في آفاق رحبة ليس لها نهاية، تمامًا بعكس ما أظهرت في روايتها – المتحررة– " اكتشاف الشهوة"؛ وخاصة في خضمِّ الحياة التي نعيشها اليوم. الحياة التي تكثر فيها القيم المتضاربة المليئة بكل المتناقضات، والصراعات والتشوهات الحضارية، والتاريخية في ظل تغيرات سريعة، وغريبة .

حبَّذا لو أن الروائية فضيلة الفاروق تفاجئنا برواية جديدة، تحمل بين ثناياها صورة نظيفة نقية للمرأة، بعيدة عن الشبهات، صورة مشرِّفة تحمل كل كرامات البشرية فوق رأسها .

وأخيرًا نتمنى على كل الأُدباء والأديبات العرب أن يأخذوا بيد القارئ إلى ما يسمو بروحه، وعقله، وخلقه ودينه .

وقال **موسى أبو دويح**:

فضيلة الفاروق مؤلفة الرواية جزائريّة، والجزائر وقعت تحت الاستعمار الفرنسيّ سنة١٨٣٠–سنة ١٩٦٢، وأستطيع القول إنّ الاستعمار الفرنسيّ هو أسوأ أنواع الاستعمار، حيث عملت فرنسا على فرنسة الجزائر، وذلك بحرمان

أهلها من لغتهم العربيّة، وفرضت عليهم اللغة الفرنسيّة في جميع مجالات الحياة، فصارت الجزائر كأنّها قطعة من فرنسا وعلى الأخصّ في سوء الأخلاق. حيث كانت الفاحشة على قارعة الطريق كما جاء في الرواية صفحة ٥٥.

وأيضًا حرم أهل الجزائر، من فهم دينهم، حتى في الأمور المتعلّقة بالأحوال الشّخصيّة من خطبة وزواج وطلاق، وكلّ علاقة بين الرجل والمرأة. ولو كان لديهم علم بالأحكام الشّرعيّة، لوجدوا حلولا لكلّ المشاكل الّتي تحدّثت عنها الكاتبة، ففي الإسلام لا تجبر المرأة على أن تتزوّج ممّن لا تريد. بل باستطاعتها أن ترفض أيّ خاطب لا يعجبها، ولا يملك أحد –حتى أبوها– أن يجبرها على الزّواج. فعَنْ خَنْسَاءَ بِنْتِ خِذَامٍ الأَنْصَارِيَّةِ، (أَنَّ أَبَاهَا، زَوَّجَهَا وهْىَ ثَيِّبٌ، فَكَرِهَتْ ذَلِكَ فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَرَدَّ نِكَاحَهُ). وفي الإسلام يقول عليه السلام: (إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوّجوه)، ومفهومه أنّه إذا جاءكم من لا ترضون خلقه ودينه فلا تزوّجوه.

أمّا ضياع الكاتبة فيظهر واضحاً جلياً في وصف حالها مع زوجها في باريس في أيام رمضان في صفحة ٦٤ و٦٥ و٦٦ و٦٧:

(في رمضان، الأيام تتحول إلى ألم متسلسل، أتسحر وأفطر لوحدي، وأصلي أغلب الوقت، وأقرأ القرآن.

أمام الله أشعر بنجاستي، اذ أسترجع قبلي المختلسة مع "شرف"، ومع "إيس."

أحار، تراني عاهرة صغيرة أو مشروع عاهرة، أم أنني أشبه كل الناس وما يحدث لي طبيعي وعادي؟ أتساءل لمَ لا أنهي علاقاتي الرجالية المختلسة؟

لِمَ لا أكون إمرأة مفرغة من الشهوة؟

لِمَ لا أكون كائناً متفرغاً للتعبد؟!

لِمَ لا أكون ملاكاً؟).

وأختم مقالتي بهذه القصة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو يتفقد الرعية ليلاً إذ سمع إمرأة تقول:

"تطاول هذا الليل واخضلّ جانبه وأرّقني إذ لا خليل ألاعبه

فلولا حذار الله لا شيء مثله لزعزع من هذا السرير جوانبه

فقال عمر: فما لك؟

قالت: أغربت زوجي منذ أربعة أشهر وقد اشتقت إليه .

فقال: أردت سوءا؟

قالت: معاذ الله .

قال: فأملكي على نفسك، فإنما هو البريد إليه. فبعث إليه .

ثم دخل على حفصة فقال: إني سائلك عن أمر قد أهمني، فأفرجيه عني، كم تشتاق المرأة إلى زوجها؟ فخفضت رأسها فاستحيت .

فقال: فإن الله لا يستحيي من الحق. فأشارت ثلاثة أشهر وإلا فأربعة .

فكتب عمر ألا تحبس الجيوش فوق أربعة أشهر."

فهذا عمر رضي الله عنه يأمر بأن يعود كل غاز في سبيل الله الى زوجه بعد أربعة أشهر.ثم جرى نقاش طويل شارك فيه كل من: نبيل الجولاني، حذام العربي، د.اسراء ابو عياش، محمد عليان، ابراهيم جوهر، سمير الجندي، صقر السلايمة، وسامي الجندي.

obeikandl.com